تأثير تدريس اللغة الإنجليزية على
ثقافة التلاميذ ولغتهم الأم في المرحلة الابتدائية

منصور بن محمد الغامدي

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

١. تأثير اللغة الأجنبية على ثقافة التلاميذ

إحدى المخاوف التي يثيرها المتحفظون على تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في مدارسنا الزعم بأن لها تأثيرا سلبيا على ثقافة الأمة وعقيدتها. وفي حقيقة الأمر، لا يستطيع أحد الزعم بأن من الممكن تدريس اللغة الأجنبية دون أن يصاحب ذلك شيء من ثقافة متحدثيها الأصليين. وما ذلك إلا للارتباط بين اللغة والثقافة. فالثقافة تشكل مجموعة العقائد والقيم والعادات التي تحتم وجود علاقة قوية بينها وبين اللغة التي ما هي إلا وعاء لهذه القيم. وتفريغ اللغة من ثقافتها يجعلها مجرد رموز لا معنى لها. فحتى يكون هناك تواصل بين متحدثين بلغة ما لا بد لكل منهما من معرفة الخلفية الثقافية للآخر:

> "لا يمكن فصل الثقافة عن التواصل لأنها هي التي تحدد من يتحدث إلى من وعن ماذا يتحدثون وكيف يستمر التواصل وكيفية تكوين الرسالة وما تحمله من معان والحالات والظروف التي يمكن إرسالها من عدمه."
>
> (Thanasoulas, 2001)

فإحدى مهام استخدام اللغة توظيفها لإقناع الآخر، ويرى حسين (٢٠٠٠) أهمية استخدام اللغة الأجنبية كوسيلة للإقناع. ومن الصعب الدخول في حوار مع الآخرين ناهيك عن إقناعهم دون معرفة ثقافتهم وخلفياتهم. ومن ثم فإنه لا يمكن تعليم اللغة الأجنبية بمجرد التلقين والحفظ فهذا مناف لطبيعة اللغة ووظيفتها كوسيلة للتواصل وإنما باستخدامها كوسيط لتبادل المعلومات والمعارف والتواصل مع الآخرين. فعزلها عن

ثقافتها الأصلية ضربا من المستحيل. فعند تدريسها بمعزل عن ثقافتها تصبح رموزاً مجردة لا دلالة لها مما يدفع المتعلم لربطها بدلالات غير صحيحة (Politzer, 1959). فالهدف من تعليم اللغة الأجنبية في النهاية هو تمكين المتعلم من الاستفادة من علوم ومعارف متحدثي تلك اللغة والتواصل معهم فإذا لم يلم بثقافة متحدثيها لا يستطيع استيعاب تلك الأدبيات أو التواصل معهم بطريقة فاعلة.

إلا أنه لا يعني أن تدريس اللغة الأجنبية سيكون على حساب ثقافة التلميذ، فالثقافة المرتبطة باللغة هنا هي للعلم بها وليست لتطبيقها. فعندما نعلم أن هناك من يعبد البقر في مجتمع ما لا يعني أننا سنقوم بالعمل نفسه عند تعلم لغتهم. والعالم والثقافات المختلفة الآن تصبح أقرب شيئا فشيئا للناس بشكل عام نظرا للتطور الكبير في مجال التقنية والاتصالات. وسواء تعلم الناس لغات أجنبية أم لم يتعلموها فإنهم يصبحون على دراية بالآخرين وثقافاتهم ومعتقداتهم. ورغم ذلك فإنه يمكن أيضا إبراز ثقافة متحدثي اللغة الأم التي هي هنا العربية في مفردات مناهج اللغة الأجنبية. وقد أوردت الباحثة الجارودي (١٤١٧هـ) أن في كتب اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية أكثر من ٣٠٠ قيمة مختلفة (الجدول. ١.). هذا لا يرسخ فقط قيم المجتمع الذي يعيش فيه التلميذ ولكنه يمنحه الوسيلة للتعبير عن قيمه وثقافته أمام الآخرين لتمكينه من الدفاع عنها والتعريف بها.

ومن اللافت للانتباه أن تعليم اللغة الأجنبية لا يقتصر على الدول الأقل تقدما بل إن الدول المتقدمة تقنيا تولي تعليم اللغات الأجنبية أهمية كبيرة (الحسن، ١٩٩٣). فهي ترى أنه لزاما على تلاميذها تعلم اللغات الأجنبية ليس للاستفادة العلمية أو التقنية من الإرث المعرفي لمتحدثي تلك اللغات ولكن لأهمية تعلم اللغات الأجنبية في توسيع مدارك التلاميذ وتعريفهم بثقافات مختلفة مما يفتح لهم آفاقا جديدة من المعرفة.

القيم	النسبة	القيم	النسبة
القيم المعرفية	٢٥%	قيم العبادات والعقائد	٩,٧
القيم الذاتية	١٢,٨%	القيم الاجتماعية	٩,٧
القيم الصحية	١٠%	القيم الاقتصادية	٧,٦
القيم البيئية	١٠%	القيم الخلقية	٥,١
القيم الجمالية	٤,٨	القيم الوطنية	٤,٨

الجدول. ١. *إحصاء لنسبة ورود القيم في مقررات اللغة الإنجليزية في المرحلة الثانوية بمدارس المملكة العربية السعودية (الجارودي، ١٤١٧ هـ).*

٢. تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأم

يرى البعض أن تعليم اللغة الأجنبية في المجتمعات العربية يكون على حساب اللغة العربية. فهل هذه المقولة صحيحة؟ إن مجرد طرح الآراء دون تدعيمها بنتائج بحوث ودراسات لا يمكن الاعتداد بها. فالرأي الخاص بشخص ما شيء والحقيقة العلمية شيء آخر. لذا كان هناك مقالات عديدة في الصحف والمجلات العربية يدعي كتابها أن اللغة العربية ستتأثر لو درست إلى جوارها اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية. وحقيقة الأمر أن الدراسات والنتائج التي من السهل الإطلاع عليها تؤكد خلاف ذلك بل وتذهب بعضها إلى ابعد من ذلك بالقول أن اللغة الأجنبية داعمة للغة الأم.

فقد قام "كيكس" و"باب" (Kecskes and Papp, 2000) بمسح تحليلي على مدى تأثير تعلم اللغة الأجنبية على المهارات اللغوية في اللغة الأم من منظور إدراكي معرفي cognitive-pragmatic perspective. وكانت الخلاصة التي توصلا إليها أن اللغة الأجنبية ليست فقط ترسخ المهارات اللغوية للغة الأم بل وتتجاوز ذلك إلى

تطوير الشخصية المعرفية عند المتعلم. واستعرضا نتائج دراسات تؤكد أن مجيدي أكثر من لغة multilingual أكثر كفاية competence من المقتصرين على لغة واحدة monolingual.

فهما يبينان أن تعلم اللغة الأجنبية من خلال برنامج تعليمي ناجح يساهم في تطوير تعلم اللغة الأم، ولقد توصلا إلى هذا الاستنتاج بعد قيامهما بمتابعة تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأم من حيث الكتابة وتراكيب الجمل. وكانت اللغة الأم عند التلاميذ هي الهنغارية – وهي لغة ليست من اللغات الهندوأوروبية – بينما يتعلمون اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية كلغات أجنبية. وكانت أعمار أفراد العينة تقع بين ١٤ و ١٦ سنة. ويخلص الباحثان إلى أن تعليم اللغة الأجنبية يجب ألا يكون هدفا في حد ذاته ولكن لهدف تعليمي عام يدعم ويطور العملية التعليمية ككل. فالتلميذ الذي يجيد لغة أجنبية أوسع إدراكا واشمل تفكيرا من نظيره المقتصر على لغته الأم.

واللغة الأم لا يمكن الحد من تفوقها في مجتمعها. ففي تونس ، على سبيل المثال، كانت المساحة التي تحتلها العربية الفصيحة لا تتجاوز تلك التي تحتلها الفرنسية في عام ١٩٥٦م والآن أصبحت مهيمنة على الفرنسية والإنجليزية اللتان في تنافس بينهما للحصول على أكبر مساحة ممكنة وقد أخذت الفرنسية تتراجع على حساب الإنجليزية. وعلى الرغم أن الفرنسية لا تزال هي لغة التعليم في بعض المواد كالعلوم والتقنية، وأن التعليم بالفرنسية والتخاطب بها استمر لعقود طويلة من الزمن إلا أن العربية أخذت تستعيد مكانتها تدريجا فهذه لغة شعب لا يمكن القضاء عليها أو تهميشها مهما كانت مواد التعليم ولغته (Daoud, 2001).

واللغة الأجنبية ليست بالضرورة أن تكون لها تأثيرا محددا على توجه التلميذ. فقد يكون التلميذ متفوقا في الإنجليزية إلا أنه ليس كذلك في مواد أخرى منها العربية، والعكس صحيح. فقد وجد قاضي (١٤١٠هـ) أنه لا علاقة بين درجات طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في اللغة الإنجليزية في المرحلة التمهيدية ومعدلهم التراكمي في الفصلين الأولين من الدراسة الجامعية. بمعنى أنه قد يكون أداء الطالب في اللغة

الإنجليزية متوسطاً في السنة التحضيرية – ٦٥ درجة من ١٠٠– ثم يكون معدله التراكمي عاليا نسبيا – ٣,٣٦ نقطة من ٤,٠٠ نقاط. ويحدث العكس بأن تكون درجة الطالب في اللغة الإنجليزية ٨٥ درجة ومعدله التراكمي ١,٥٩ نقطة. هذا يعني أمرين الأول أنه ليس بالضرورة أن يكون الطالب متفوقا في اللغة الإنجليزية لكي يكون متفوقا في المواد الجامعية الأخرى، الأمر الثاني، أن تعليم الطالب الجامعي لا يتأثر سلبا نتيجة لتفوقه في اللغة الإنجليزية. وهذه النتيجة عكس ما وصل له الباحثان الشامي ووسوف (١٤٠٧هـ) عندما قاما بتحليل نتائج طلاب كلية الزراعة بجامعة الملك فيصل بالإحساء من عام ١٩٧٧م إلى ١٩٨٣م وذلك بحساب الارتباط بين درجاتهم في اللغة الإنجليزية في السنة الثالثة ثانوي ومعدلهم التراكمي في الكلية. بينت النتائج أن هناك ارتباطا بين هذين العاملين سواء كان ذلك أثناء التدريس في الكلية باللغة الإنجليزية خلال الفترة من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٨٠ أو أثناء التدريس باللغة العربية من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٣م. وقد يعزى السبب في اختلاف نتيجتي البحثين إلى الاختلاف في نظام الاختبارات على المستويين الجامعي والثانوي. فاختبارات اللغة الإنجليزية في السنة التمهيدية في الجامعة تقوم على اختبار واحد من ١٠٠ درجة، بينما نتيجة الثانوية العامة تقوم على عدة اختبارات وأعمال سنة في ذلك الوقت مما يجعل نتائج المواد الدراسية متقاربة إلى حد بعيد. فالتلميذ الحاصل على درجة عالية في الإنجليزية غالبا ما يكون جيدا في معظم المواد والعكس صحيح.

استعرض الرشيد (١٤١٩هـ) في بحث مطول مدى تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأم سواء كان ذلك في الدول الغربية أم في العالم العربي. وذكر الدراسات المؤيدة والمعارضة وخلص إلى القول بأن نجاح تعلم اللغة الأجنبية يعتمد على عدة عوامل تربوية كوجود برنامج متقدم لتدريس اللغة الأجنبية والتعليم بشكل عام. وقد وزع الباحث استبانة على المعلمين والمعلمات وأولياء الأمور في المدارس الخاصة والحكومية التي تدرس الإنجليزية في دولة الكويت منذ الصف الأول الابتدائي لاستطلاع أرائهم حول تدريس اللغة الإنجليزية. وقد بينت النتائج أنه ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين

الذكور والإناث من أفراد العينة في التوجه العام إلا أن الإناث أكثر رفضا لمقولة أن هناك تأثيرا ثقافيا واجتماعيا سلبيين على التلاميذ. ولم يكن هناك فروق دالة بين أولياء أمور التلاميذ في المدارس الأهلية والحكومية ، كما لم يكن هناك فروق دالة بين مدرسي المدارس الأهلية والمدارس الحكومية. ولم يكن هناك فروق أيضا في إجابات معلمي اللغة الإنجليزية واللغة العربية. ولا فروق بين المعلمين وأوليا الأمور. وخلص الباحث إلى استنتاجات منها:

- أن تعلم اللغة الإنجليزية لا يؤثر سلبا على تعلم العربية.
- أن تعلم الإنجليزية لا يؤدي إلى إكساب التلاميذ عادات وقيم لا تتفق مع عاداتهم وقيمهم. كما أنها لا تسبب اغتراب الشباب ولا تؤثر سلبا على التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع.

وهناك دراسة أخرى على تلاميذ دولة الكويت حيث بدأ تعليم الإنجليزية في العام الهجري ٩٤/٩٣ في المرحلة الابتدائية بداية بالسنة الأولى وذلك بثلاث حصص في الأسبوع في المدارس الحكومية. الدراسة عن أثر إدخال مادة اللغة الإنجليزية في التعليم الابتدائي في الكويت، إذ وجد عيسى والمطوع (١٩٩٨م) بعد قيامهما باستقصاء أثار إدخال الإنجليزية على تدريس اللغة العربية وذلك بمقارنة نتائج التلاميذ في الصف الثاني قبل إدخال الإنجليزية وبعدها، كما قاما بتوزيع استبانة على مدرسي اللغة العربية لاستطلاع أرائهم: وقد وجد الباحثان أن مستوى التلاميذ في اللغة العربية لم يتأثر بإدخال مادة اللغة الإنجليزية في الصف الثاني، بينما وجدا أن مستوى التلاميذ في الصف الأول أفضل في اللغة العربية بعد إدخال مادة اللغة الإنجليزية من التلاميذ الذين لم يدرسوا الإنجليزية في العام السابق.

أما طارش (١٩٩٥م) فقد استطلع آراء المعلمين والموجهين والإداريين حول تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في دولة الكويت. وبينت النتائج رضى أفراد العينة على سير عملية تدريس اللغة الإنجليزية وبرنامجها في الكويت وأن هناك فائدة من

البرنامج المذكور في جميع المهارات اللسانية كالتواصل الشفهي والفهم والاستيعاب والقراءة والكتابة. وأن تدريس الإنجليزية يثري ثقافة التلميذ.

وفي جمهورية مصر، قام موسى (١٤٠٥هـ) بعمل استفتاء لطلبة الثانوية العامة لمعرفة مدى رغبتهم في تعلم الإنجليزية، وقد أبدى نصف أفراد العينة موافقتهم بينما لم يوافق على ذلك النصف الباقي لأسباب تتعلق معظمها بأسلوب التدريس والمنهج وعدد التلاميذ في الفصول. وقام أحمد (١٩٩٦م) بعمل دراسة ميدانية لاستطلاع آراء المعلمين والموجهين حول تدريس اللغة الإنجليزية في الصفين الرابع والخامس الابتدائي. وبينت النتائج أن فقط ١٠% يرغبون في استمرارية تدريس اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية، كما بينت نتائج الاستبانة أن أسباب ذلك هو عدم ملائمة المناهج ووضع التلاميذ في الفصول وعدم توفر المعلمين. رغم أن نسبة عالية منهم تصل إلى ٦٠% يرون أن التلاميذ استفادوا من تدريس الإنجليزية في اكتساب بعض المهارات اللغوية الإنجليزية. كما قامت الباحثة صادق (١٤٠٧هـ) بعمل استفتاء لطلبة كلية التربية بجامعة الأزهر بالقاهرة بينت نتائجها وجود نسبة من الطلاب لا يرى أن هناك ضرورة لتعلم الإنجليزية. ولعل طبيعة تخصص أفراد العينة يجعلها لا ترى أن له علاقة باللغة الإنجليزية.

وفي الأردن، قام الباحثان نصر وصمادي (١٤١٦هـ) بعمل بحث عن العلاقة بين تعليم الإنجليزية والعربية ولكن من حيث مدى تأثير أسلوب تدريس العربية على تعلم الإنجليزية. وكانت عينتهما من تلاميذ الصف الخامس الابتدائي. فبينت الدراسة أن التقدم في المهارات اللسانية في العربية يؤدي إلى تطور ذاتي عند التلاميذ في اللغة الإنجليزية.

وبهذا نستنتج من الدراسات العلمية الموثقة وما هو قائم في جميع دول العالم المتقدم **ضرورة** تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية من تعليمنا العام. لأهمية ذلك من عدة جوانب، ومنها تطوير قدرات الطلاب الذهنية ومهاراتهم اللغوية ليس في اللغة الأجنبية فحسب ولكن في اللغة العربية أيضا. ولتمكينهم من التواصل مع الآخرين

والاطـلاع علـى أحـدث مـا أنجـز فـي المجـالات المعرفيـة والعلميـة واسـتخدام التقنيـات المعاصـرة والاسـتفادة منهـا كالشـبكة العالميـة "الإنترنـت" والأجهـزة الإلكترونيـة الأخـرى كالحاسبات. إن تدريس اللغة الأجنبية في مراحل التعليم العام لم تعد موضوع نقاش بل إن الجدل الآن يدور حول كم لغة أجنبية تدرس لهم، وللعلم فقط، تُدرس ثلاث لغات أجنبية لطلاب المرحلة الابتدائية في إسرائيل. ألم ندرك بعد أن العالم قد تجاوزنا بكثير في معظم الأمور ومنها تدريس اللغات الأجنبية.

وأود أن أؤكد هنا أهمية رفع كفاءة التعليم، إذ أن جودة التعليم تهيمن على أية عوامل أخرى ومنها تدريس المواد كاللغات الأجنبية. وتعليمنا في أمس الحاجة إلى التطوير من حيث المعلم والمنهج والمبنى المدرسي والوسائل المعينة إضافة إلى تعليم اللغات الأجنبية.

المراجع العربية

أحمد، أحمد محمد (١٩٩٦م) تعليم اللغة الإنجليزية في الصفين الرابع والخامس بالمدارس الابتدائية: رؤية نقدية، *مجلة كلية التربية*، ٢: ٤٣٠-٤٥٠.

الجارودي، ماجدة بنت إبراهيم (١٤١٧ هـ) *القيم المتضمنة في كتب اللغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية*، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

الحسن، مسعود محمد سعيد (١٩٩٣م) دراسة مقارنة عامة بين تعليم اللغات الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية وواقع تعليم اللغة الإنجليزية في دولة قطر، *آفاق تربوية*، ٣: ١٠٩-١١٥.

حسين، جهاد محمد (٢٠٠٠م) الإقناع خطوة أولى في طريق تعلم اللغة الإنجليزية، *آفاق تربوية*، ١٦: ١٦٤-١٦٩.

حمدان نصر، وعقلة صمادي (١٤١٦هـ) أثر تعلم مهارات الاستماع والكتابة التعبيرية باللغة العربية على تعلم المهارات ذاتها باللغة الإنجليزية، المجلة العربية للتربية، ١٥: ٢٢٩-٢٦٤.

الرشيد، حمد (١٤١٩هـ) تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية الايجابيات والسلبيات، *رسالة الخليج العربي*، ٦٨: ٧٩-١٤٨.

الشامي، إبراهيم عبد الله، ومحمد زهير وسوف (١٤٠٧هـ) دراسة العلاقة بين المعدل العام ودرجة اللغة الإنجليزية لطلاب الثانوية العامة وتأثير ذلك على معدلهم الدراسي في المرحلة الابتدائية، *مجلة اتحاد الجامعات العربية*، ٢٢: ٩٤-١٠٣.

صادق، ريتا كولوما (١٤٠٧هـ) اتجاهات الطلاب المتحدثين باللغة العربية نحو تعلم اللغة الإنجليزية، *رسالة الخليج العربي*, ٢٠: ١٤١-١٦٧.

طارش، ليلى حبيب (١٩٩٥م) فلسفة تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية في دولة الكويت وابعادها التربوية, مجلة التربية، ١٢: ٢٧-٣٢.

عيسى، محمد رفقي، ونجاة عبد العزيز المطوع (١٩٩٨) أثر إدخال مادة اللغة الإنجليزية على تدريس اللغة العربية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، المجلة التربوية، ٢: ١١٣-١٤٧.

قاضي، صبحي عبد الحفيظ (١٤١٠هـ) دراسة العلاقة بين مستوى الطلاب في اللغة الإنجليزية ومستوى إنجازهم في الدراسة الجامعية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، *مجلة جامعة أم القرى*، ٣: ١٤٦-١٧٤.

موسى، محمد عبد الحميد (١٤٠٥هـ) اللغة الإنجليزية بين القبول والرفض في مدارسنا، *التربية*، ٣٨: ٦٧-٧٢.

المراجع الأجنبية

Daoud, Mohamed (2001) Language Policy and Planning in Tunisia: Accommodating Language Rivalry. Steven J. Baker (ed.) *Language Policy: Lessons from Global Models*, Proceedings from Language Policy Conference held at the Monterey Institute.

Kecskes, Istvan and Tunde Papp (2000) *Foreign Language and Mother Tongue*, Mahwah, NJ.

Politzer, R. (1959) Developing Cultural Understanding Through Foreign Language Study. *Report of the Fifth Annual Round Table Meeting on Linguistics and Language Teaching*, Washington, D. C. Georgetown University Press.

Thanasoulas, Dimitrios (2001) The Importance of Teaching Culture in the Foreign Language Classroom. *Radical Pedagogy*, 3, 3.